Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحديثه عنها ، كما نرى ، على شاعريته حديث من يندب أطلالا ومجدًا تومىء إليه ، ولأنه لم يشهد الأحداث نفسها لم يعرض لما أصاب الناس والحياة وقرطبة العاصمة ، ومن المؤكد أنه عندما جاءها وجد الحياة دبت فيها من جديد ، فعاد خرابها عمارا ، وارتفعت أطلالها بيوتًا ، وإن لم تعد إلى ما كانت عليه حتى يومنا هذا ، أما الزهراء فظلت أنقاضًا لم يرتفع فيها بناء ، ولا امتدت إليها يد إصلاح ، حتى سنوات قليلة خلت ، فقد أخذ الإسبان ينفضون عنها غبرة الموت ، ويعيدونها حجرًا إلى حجر ، لمجرد رسم صورة ، ولو باهتة ، لما كانت معالمها عليه .

●

تتردد أفكار الشعراء فى تناول المحنة وأسبابها بين السلبية والإيجابية ، بين الرضى المستسلم والشماتة المثيرة ، أو التأمّل الهادىء ، وكلها تصدر عن نبع واحد ، فحين تحل الخطوب الجسام بالشعوب المتحضرة تُفقدها لحين القدرة على التميز الدقيق ، والتفكير المنطق ، فتعود إلى القلب بدل العقل ، وتفسر الأمر عن طريق العاطفة بدل الفكر ، وتركن إلى أوهى الأسباب هروبًا من واقعها الأليم .

ولم يعرض أىٌّ منهم ، فيما وصلنا من شعر ، لعناصر الشر ورءوس الفتنة ، ولم ينحوا باللائمة على أحد ، وبخاصة ابن حزم وابن شهيد ، وكلاهما شهد المأساة ، ولهما مقام اجتماعى وسياسى ملحوظ فى العاصمة ، وشاركا فى أحداثها . أتراهم كانوا يحسون فى أعماقهم بأن إلقاء المسئولية على فريق بعينه فيه عدوان على الحق ؟. وأن كل الذين فى قرطبة مسئولون عما حدث ؟. نحن نعرف أن ابن حزم ظل إلى آخر رمق فى حياته ، حتى بعد أن ترك السياسة جانبًا ، وامتدت به الحياة طويلا ، يلتزم جانب الشرعية فيما يتصل بقضية الخلافة ، فبقى على ولائه لبنى أمية لا يحيد عنه ، ونعرف أنه كان جريئًا فى الحق ، يقول ما يعتقد بصوت مرتفع ، ومضى يناضل وحيدًا ضد الجميع ، وضد كل شىء ، ولا يمكن أن نعزو صمته إلى أنه مجاملة أو خوفًا من أحد . أما ابن شهيد فباح بآلامه من العاصمة نفسها ، ومغامرة منه أن يدين أحدًا فى لحظة انزوى فيها القانون ، وحل مكانه الرعب